International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA
Volume 6, Issue 4, 2024

The desert in Algerian literature, the novel I will give you a gazelle by Malik Haddad, is an example

Dr. Al Khader Bin Issa

This abstract explores the desert as a constantly changing space that rejects stability and compels continuous movement forward. As depicted by Abdel Rahman Munif, the desert requires harmony with pure natural laws, free from the excesses of civilization. It stands in opposition to urban luxury and artificial settlement, presenting hardship as an essential condition for understanding the spirit of place and existence.

Keywords: Desert, Literature, Novel, Place, Nature

الصحراء في الأدب الجزائري، رواية سأهبك غزالة لمالك حداد أنموذجا

د. القادر بين عيسى

الملخص: يتناول هذا الملخص صورة الصحراء بوصفها فضاءً متحوّلًا لا يعرف الثبات، حيث يفرض على الإنسان منطق التقدّم دون رجعة، ويستلزم الاندماج مع قوانين الطبيعة الخالصة. فالصحراء، كما يصورها عبد الرحمن منيف، ترفض مظاهر الحضارة القائمة على الترف والاستقرار، وتدعو إلى الوفاء لروح المكان والتعايش مع قسوته بوصفه شرطًا للفهم والوجود.

الكلمات الدالة: الصحراء، الأدب، الرواية، المكان، الطبيعة.

Received: 7/9/2024
Revised: 26/10/2024
Accepted: 19/11/2024
Published online: 23/12/2024

* *Corresponding author:*
Email:
Al-Hajjat@gmail.com

https://doi.org/10.65811/647
Citation: *Bin Issa, A. (2024). The desert in Algerian literature, the novel I will give you a gazelle by Malik Haddad, is an example. International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 6(4).*

©2024 The Author(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license.
https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences: Issn Online 3006-7286

Abstract

مقدمة الدراسة

ومن صحب الصحراء هام بعالم من السحر جني الطيوف رهيب فالصحراء فضاء ممتد واسع موحش قفر خاو ، جافة، يعلوها الغبار، وتتلاشى فيها الأصوات، لا أثر فيها للماء، ولا ما يقيم الحياة ، "واعلم انه لولا الصحاري والقفار ما كان العمران ولم يعش إنسان ولا حيوان بجانبها لترادف الرطوبات وتكاثر العفونات" تفسير طنطاوي جوهري (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) ١-١٣ ج٤ ، ص ١١٠)

هذه هي الصحراء جملة من المتناقضات هي رمز للحرية والتحرر والانعتاق ، فبمجرد " تجاوز التخوم الأرضية إلى أفاق الكون ، دلالة الباطن والظاهر ، الواقعية والتقشف ، البساطة والإرادة الصلبة ، القابلية للتحول والحركة ، كما أنها تكتسب جمالية شاملة تتعلق بالرحابة المشهدية والتدفق الضوئي " صلاح صالح ، الرواية العربية والصحراء ، .١٩٩٦

وفي المقابل هي قيد وسجن وغربة ومعاناة ، ضياع ومنفى ، يقول الشاعر الشنفرى ، حين أجبر على الغربة ، وفرضت عليه الظروف أن يبتعد عن أهله وموطنه ، ليتيه في الصحراء (ديوان الشنفرى ، طلال حرب ، بيروت ١٩٩٣)

وإني كفاني فَقْدُ من ليس جازياً

بِحُسنى ، ولا في قربه مُتَعَلَّلُ

ثلاثةُ أصحابٍ : فؤادٌ مشيعٌ

وأبيضُ إصليتٌ ، وصفراءُ عيطلُ

ويقول الشاعر مالك بن الريب (الديوان : تح : نوري حودي القيسي ، مج١٥ ، ج١ ، دت)

يَقُولُونَ لا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَـنِي وَأَيْنَ مَكَانُ البُعْدِ إلاَّ مَكَانِيـَا

غَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ

إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي وَخَلَّفْتُ ثَاوِيَـا

وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِـدٍ لِغَيْرِي، وَكَانَ الْمَالُ بِالأَمْسِ مَالِيَا

فالصحراء عموما مكان " يوحي بالاتساع والتحرر، ولا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف، لا سيما، إذا كان المكان مفتوحا في أمكنة الشّتات والمنافي (...) ولعل حلقة الوصل بينهما هي الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى المكان المفتوح، توافقا مع طبيعتها الراغبة دائما، في الانطلاق و التحرر وهذا لا يتوفر إلا في المكان المفتوح"

حفيظة أحمد:بنية الخطاب في الروائية النسائية الفلسطينية ١٩٥٠-٢٠٠٠، ٢٠٠٧ ، ص١٦٦

تجليات الصحراء في الأدب الجزائري:

يجد الملتفت والمهتم بالأدب الجزائري اهتماما كبيرا بمظاهر الطبيعة في هذا الأدب ، لاسيما الطبيعة الصحراوية ، التي تختصر الطبيعة كلها ، تختصر الكون بكل عناصره وأبعاده ، إنها مصدر إلهام ثري ، يثير خيال الشعراء والأدباء والفنانين الجزائريين على تنوع مشاربهم واختلاف مدارسهم وتعدد اتجاهاتهم ، حيث وجدوا أنفسهم مدفوعين لإبراز تعلقهم بالبيئة الصحراوية وطبيعة الصحراء بقسميها الصامت والمتحرك ورسم مشاهدها ووصف أحاسيسهم في صور أدبية جميلة .وغدت الصحراء الجزائرية مظهرا من مظاهر الجمال الطبيعي الرائع كل شيء فيها مجيل و تعبيريا عن موقف حب و إجلال و عالقة حضارية خاصة، غري أنهم تفاوتوا نسبيا في قدرتهم على تصوير أبعادها الشاملة، و صياغة أعماق الذات الشاعرة في عشقها. إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي الجزائري، ٢٠٠٢ ، ص١٩٠

فوصف الشعراء النخلة وتمورها لإثبات ارتباطهم المتجذر والقديم بهذه الشجرة ذات الأبعاد الدينية، مما جعل لها موروثا ثريا ضمن الموروث الثقافي الجزائري ، يقول الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري في قصيدة أبدع فيها في وصف الصحراء:

يا عاذرا لامريء قد هام في الحضر وعاذلا لمحب البدو والقفر

لا تذممن بيوتا خف محملها وتمدحن بيوت الطين والحجر

لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر

أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقيا بساط رمل به الحصباء كالدرر

أو جلت في روضة قد راق منظرها بكل لون جميل شيّق عطر

تستنسقنّ نسيما طاب منتشقا يزيد في الروح لم يمرر على قذر

أو كنت في صبح ليل هاج هاتنه علوت في مرقب أو جلت بالنظر

رأيت في كل وجه من بسائطها سربا من الوحش يرعى أطيب الشجر

فيا لها وقفة لم تبق من حزن في قلب مضنى ولا كدا لذي ضجر

نُباكرُ الصيد أحيانا فنبغته فالصيدُ منا مدى الأوقات في ذعر

إلى أن يقول:

ما في البداوة من عيب تُذمُّ به إلا المروءة والإحسان بالبدَر

وصحّةُ الجسم فيها غير خافية والعيب والداءُ مقصور على الحضَر

منْ لم يمُتْ عندنا بالطعن عاش مدى فنحن أطول خلق الله في العُمُر

ويقول الشاعر مفدي زكرياء:

و في صحرائنا جنات عدن

بها تنساب ثروتنا انسيابا

وفي صحرائنا الكبرى كنوز

نطارد عن مواقعها الغرابا

و في صحرائنا تبر وتمر

كلا الذهبين راق بها و طابا

و في صحرائنا شعر وسحر

كلا الملكين حط بها الركابا

و في صحرائنا أدب وعلم

زكا بهما المثقف و استطـابا

وفي واحاتنا ظـل ظليل

تفور به نـواعـرها حبــابا

ويقول في مناسبة أخرى:

وهزّت-مريمُ-العذرا نخيلا فأسقطت الفلوذَجَ والرّضابا

عراجنُ كالمجرّة مشرقات عسالجها انسكبن بها انسكابا

يُدغدغُ تحتها الغنّام نايا فيُنطقُ من فم الغَنَم الربابا

ويقول أيضا مبرزا مشاعر الحب و الشوق إلى الصحراء وهو في غياهب السجن (ديوان اللهب المقدس ،١٩٨٣، ص ٣١٦.(

وفي حرم الصحراء، أهلي، وجيرتي. وربعي، وخلاني، وأكبادي الحر ى

فكم كنت والأهلين نعلو نخيلها ونقطف صبحا من عراجينها تمرا

ونفترش الرمل الـــوتير وبيننا حديث نناجي في حكايته البدرا

وتحت الخيام الحالمات جميلة مرنحة الأعطاف فارغة سمرا

أما الشاعر الأخضر السائحي فيقول في قصيدة يتغنى بها بالصحراء وسحرها:

كُثَّب أنت أم سنا وضياءُ؟ ورمال أم فتنة ورواءُ؟

وسكون مخيم ووجوم؟ أم غناء مرجع وحداءُ؟

وبساط مهد من حرير؟ أم هضاب على الثرى شماءُ؟

لست أدري أأنت أرض دحاك الله أم أنت يا رمال سماءُ؟

الجمال البديع والسحر

والروعة والطهر والسنا والصفاءُ

ها هنا كلها بدت في رمال -وهضاب ماجت بها البيداء-

لقد أثبت هذا النزوع نحو المكان (الصحراء) أن " المكان حينما يكون موضوعا جماليا متخيلا يكتسب خاصية الأثر المبدع الذي تؤول ملكيته إلى القارئ أولا و أخيرا، فالشاعر لا يقدم سوى الإشارة إليه في إبداعه ،يعمل الاقتصاد الشعري على اختزالها و حذف أجزائها. بيد أن التخييل يعيد إليها المحذوف ليس بالطريقة الآلية التي يمكن أن نتصورها سريعا و إنما بالإضافة الجديدة التي لم تكن للمكان من قبل" حبيب مونسي : فلسفة المكان في الشعر العربي " قراءة موضوعاتية جمالية " ،٢٠٠١.

حضور الصحراء في الرواية الجزائرية :

فضاء الصحراء مكان منفتح على الطبيعة ، هذه الخصوصية وظفتها الرواية ، فقد ألهمت قرائح الروائيين الجزائريين باللغتين العربية والفرنسية، فجادت بصور مستملحة عن مكان ظل مُهمشا حينا من الزمن، لتأطير أحداثها بفرض الزمان المتحكم فيها ، وحولت عوالمه المفتوحة على الأسطورة والخرافة والتيه والصمت والغيب إلى علامات ناطقة بزخم المعنى وغواية الحكاية المسكوبة في تصاميم النصوص وخرائط السرود ، حيث شملت تقريبا كل أحداث الرواية نظرا لولادة الشخصية بها وترعرعها داخل فضاء مكاني، شاع بعاداته وتقاليده وأفكاره الغريبة، كما تمثل الصحراء بمساحتها الشاسعة وعدم وجود العمران على أرضها مكانا مفتوحا ، فيمشي بها الإنسان وكأنه لا يتحرك من مكانه لالتفات رمال الصحراء علي، فهي متواجدة أينما يمشي مع حرارة المكان وإن أشد ما يشهده هذا الفضاء الواسع، الكثبان الرملية التي تؤدي بحياة الإنسان إلى الموت، بوصفها مكانا مفتوحا لاحدود له.

انظر : أمينة رحال و ليليا أوقال : صورة الصحراء في الرواية الجزائرية رواية "تلك المحبة"

للحبيب السائح أنموذجا ، ٢٠١٦ ، ص٣٣.

انظر أيضا : حميد عبد القادر : حضور الصحراء في الرواية الجزائرية:الاحتفاء بالإنسان على ذرّات الرمل، أبريل ٢٠١٨

تراءت الصحراء - كما تشير الدكتورة آمنة بلعلى – بعد الاستقلال كذاكرة منسية بالنسبة للروائيين، الذين يكتبون باللغة الفرنسية، حيث استطاعت رواياتهم تحرير نفسها من قيود النظام الاشتراكي لتحلق في فضاءات إبداعية تعمل على إضاءة بعض مواطن العتمة من التاريخ والجغرافيا الجزائرية، فكانت الصحراء الحاضر الغائب الذي يظهر باحتشام في دور لشخصية، أو إحالة إلى لغة حالة اختلاف، لتتشكل بعد ذلك كعلامة رمزية، وفضاء متخيّلا سرعان ما اكتشفه مولود معمري من خلال بحوثه الأنتروبولوجية، فضاء حقيقيا للهوية اللغوية الأمازيغية .وإليها يعبر من خلال شخصيات روايته العبور La traversée سنة ١٩٨٢ من إحدى مداشر بلاد القبائل "تازقا" ؛ حيث ينتقل مراد الصحفي إلى الصحراء، ويقوم معمري من خلاله بتفكيك متخيل الصحراء كما تمثلها الغرب، ويسائل ثقافة شعب التوارق هناك الموزع بين الحدود، وبذلك تتحول رمزية الصحراء إلى فضاء للبحث عن الهوية الأمازيغية التي تصاعدت المطالبة بها في ثمانينيات القرن الماضي ، وجسّدت الرواية جزءا من السيرة الشخصية للروائي والأنثروبولوجي الذي يبحث عن الثقافة الجزائرية الحيّة لدى أمازيغ الصّحراء ، وهو الأمر نفسه الذي دفع الطاهر جاووت إلى كتابة رواية اختراع الصحراء l'invention du désert سنة ١٩٨٧ التي مثلت رمزا للبحث عن الجذور الهوياتية ، من خلال شخصية البطل الذي يعيش منعزلا في المدينة الباردة في أحد فنادق باريس فارا من سطوة القهر السياسي في الجزائر، حيث نمت الصحوة الإسلامية، فعكف جاووت على البحث عن أسباب هذه الظاهرة المفاجئة ، ولكن من خلال أبعاد رمزية عاد بنا من خلالها إلى مؤسس الدولة الموحدية المهدي ابن تومرت، ليستنطق من خلاله البطل الذي يجعل من حياته سيرا دون نهاية، لأنه مولع بالسفر مثل ابن تومرت الذي جاب الصحاري العربية، فيستنطق من خلاله جذور التعصب الذي بدأت بوادره تظهر مع صحوة الثمانينيات الدينية.

فكان السفر إلى الصحراء، بمثابة توجّه نحو الداخل لتجاوز آثار التحولات الإيديولوجية والسياسية التي ساهمت في تغييب الهوية الحقيقية للشعب الجزائري، وارتداء هويات إيديولوجية قاتلة.

في سنة ١٩٩٢، ومع بداية أزمة العنف في الجزائر، يطل محمد ديب من خلال روايته الصحراء بلا منعطف le désert sans détour تحت غطاء شبه سوريالي سيستمر معه في رواياته اللاحقة، وذلك من خلال رحلة التيه في الصحراء، التي تعادل رحلة البحث الداخلي عن معنى الوجود، لتصبح رواية في الرمزية الفلسفية للصحراء.

وهو الأمر الذي عمقه في رواية سيمورغ Simorghسنة ٢٠٠٣ حيث يجعل من استيقاظ قوى الطبيعة في الصحراء وتواطؤ الرمل مع الريح في فصل مدن الأشباح الحزينة معادلا رمزيا لإمكانية القضاء على كل جميل في الحياة، فهو يستطيع القضاء ببطء وبكل فظاظة على أجمل واحة نابضة بالحياة، فالرمل، يمكن أن يجرّ خلفه الصحراء كلها، وهو في هذه الأمثولة الرمزية يوحي إلى الغرب

المعولم القاهر للهويات.

ويتّخذ رشيد بوجدرة سنة ١٩٩٤ في رواية تيميمون Timimoun من الصحراء ملاذا، جراء ما يحدث في الشمال من مجازر، وفي إسقاط نفسي تتحوّل الصحراء المتخيّلة إلى صورة الأم، وهو في هذه الرواية، يقارب الصّحراء من موقعه الشمالي الذي لم يعرفها إلا سائحا، أغرت مخيلته، ومنحته فرصة لتفسير ما يحدث في جزائر التسعينيات وما تثيره الصحراء من وشائج الذكرى إلى مسقط الرأس بقسنطينة التي يستدعي منها رائحة أمه .

جسّدت رواية الممنوعة l'interdite لمليكة مقدّم سنة ١٩٩٣ بداية تحوّل متخيّل الصحراء لدى الروائيين الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية، حيث استطاعت هذه الروائية القادمة من الصحراء إلى فضاءات الغرب الباردة، أن تخوض تجربة استنطاق مضاعف، تفضح من خلاله التمثّل الكلاسيكي الذي ينظر إلى الصحراء من خارج بصفتها فضاء للاستمتاع والسّياحة، أو ملاذا نفسيا، إلى فضح الصحراء التي تمارس المنع والقهر على المرأة، وبذلك تعرض ذلك التعارض الذي تمثّله الصحراء بين كونها فضاء حرا وسجنا يتّسع لمجتمع أبوي يمارس فيه منع النساء من ممارسة أدنى الحقوق ، سعت مليكة مقدم إلى خلق متخيّل صحراوي جدي سوف يسمح لأبناء الصحراء بالانخراط في الاشتغال على تمثيلات متنوعة للصحراء، أسست للرواية الصحراوية في الجزائر، بدءا من الألفية الثالثة، معظمهم كتب باللغة العربية، قاموا بتفكيك أسطورة الصحراء بتمثيلاتها التقليدية ليطلعوا القارئ على صحراء تقاسمتها رهانات سياسية واجتماعية واقتصادية وتمثيلات لتناقضات هذه الرهانات، فهي التي انبعثت منها دويلات دينية حكمت الجزائر والمغرب الإسلامي كالموحّدين والمرابطين، ومنها أطلق المستعمر أولى تجاربه النووية في رقان، ورقان نفسها، تحولت إلى معتقل كبير زجّ فيه بآلاف الإسلاميين في بداية التسعينيات، وهي نفسها صحراء الهامش الثقافي .

آمنة بلعلى : متخيّل الصحراء وإعادة تشكيل المركز في الرواية الجزائرية ، أكتوبر ٢٠١٧.

أما الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية والتي تناولت تيمة الصحراء ، فيبدو أنها – على قلتها - جاءت متأخرة ، نذكر منها:

مملكة الزيوان: لحاج أحمد الصديق ، هذا الأخير حاول في نصه الروائي عمل على إبراز جمالية المعالم الجغرافية والحياة الاجتماعية والروحية في صحراء توات ولقد تميزت روايته بتركيزها على الصحراء واهتمامها بالعودة إلى الماضي السحيق للصحراء ومحاورة أساطيرها ورموزها ورمالها واستكشاف عوالم الأسلاف وتعاويذهم ورقاهم وتمائمهم السحرية.

صحراء الظمأ : لـ الأخضر بن السائح والرواية بأكملها تمثل عالم الصحراء و تصور لنا الرواية رحلة في الصحراء مليئة بالمغامرات الشيقة.

رواية "تيميمون": لرشيد بوجدرة ، والتي هي عبارة عن رحلة تخييلية في فضاء واقعي في عمق الصحراء الجزائرية حيث الأمن والأمان المفقود بفعل لغة الموت المبثوثة في كل شارع من شوارع الشمال واستطاع أن يرسم التناقض الصارخ بين فضائين ينتميان لبيئة جزائرية واحدة.

رواية تنزروفت : لعبد القادر ضيف الله ، في هذه الرواية يسترجع الكاتب تاريخ الصحراء من خلال شخصية العالم وفاتح إفريقيا عبد الكريم المغيلي ومعاركه مع يهود الصحراء. بالموازاة مع استرجاع ذكريات البطل في ظل الإرهاب في الشمال الذي فرّ منه إلى صحراء تنزروفت أرض الوأد والعطش.

رواية الخابية : لجميلة طلباوي ، التي تحتفي فيها بهذا الجزء في القصر من البناء الصحراوي القديم الذي تمدّه بالمؤونة، وتضمن له الحياة في قلب الصحراء القاسية، وتجعل من الخابية سلطة رمزية تختزل ممارسة اجتماعية، وشاهدا على قيم الصحراء التي تميّز شعبها، وهي التي عبّرت عن الفكر الصّحراوي في علاقته بالأشياء، والتمتّع بالحصانة وخاصة في ظل عولمة متكالبة على القيم.

رواية ثابت الظلمة : لـ أمل بوشارب ، رواية تقع في ٣٧٠ صفحة، موزعة على ثلاثة أقسام، وتتناول تيمة تربط بين أسطورة إغريقية تلتحم مع وقائع تاريخية تناولها أفلاطون في محاورتيه الشهيرتين تيمايوس وكريتياس ومعتقدات محلية تنضوي على أسرار مسكوت عنها، يبررها تواجد نصوص تيفيناغ منتشرة في الصحراء الجزائرية لم يتم تفسيرها إلى حد الآن.

رواية صحاري السراب: للكاتب الجزائري نوار ياسين ، وهي تسير في مسار سردي عربي طويل شهد تفاعلا مع المكان الصحراوي وكل مظاهر الحياة وصعوباتها وثقافاتها وأسرارها .

انظر : آمنة بلعلى : متخيّل الصحراء وإعادة تشكيل المركز في الرواية الجزائرية ، أكتوبر ٢٠١٧.

وأيضا : عائشة قعادي : صورة الصحراء في السرد الجزائري المعاصر ، ٢٠١٦ ، ص٢٤.

الصحراء في رواية سأهبك غزالة لمالك حداد

ظهرت لدى مالك حداد في سنة ١٩٥٩ في روايته سأهبك غزالة Je t’offrirai Une Gazelle ومن خلال بحث البطل مولاي عن غزالة حية في الصحراء يهبها لحبيبته، ثم موته عطشا فيها دون أن يحقّق لها ذلك. جسّد مالك حداد، الفراغ النفسي الذي يعانيه الجزائري في وطنه تحت وطأة الاستعمار، وهو الفراغ نفسه الذي عاناه في باريس منفاه المضاعف. فباريس/ قسنطينة في الواقع وباريس/ الصحراء في المتخيل، جسدا لدى مالك حداد المنفى المتعدد الأبعاد، بدءا باللغة الفرنسية التي اعتبرها منفاه، إلى الواقع الذي رمز له بالصحراء، ثم باريس التي هي منفى في الحقيقة وفي المتخيل، ولذلك ستصبح الغزالة موضوع السعي في المتخيل رمزا للحرية التي لم يتمكن الجزائري من تحقيقها.

انظر : آمنة بلعلى : متخيّل الصحراء وإعادة تشكيل المركز في الرواية الجزائرية ، أكتوبر ٢٠١٧.

هي رواية معقدة، وذات مستويات، يلتقي فيها مؤلفها مجهول الاسم بأبطاله - شخوصه بقدر ما يصنعهم ويشترك معهم في البطولة الروائية. فالمؤلف واحد من أبطال روايته، وهو يكاد يكون الكاتب/ الشاعر الذي يكتب هذا الكتاب. ففي الرواية شخصية "المؤلف" الذي نجده على لسان الراوي الأول عبر جملة تتكرر في صيغة "وكان المؤلف يقول راوياً"، وفيها صورة المؤلف وقد

"استرجع... مخطوطه ثم انتصب واقفاً وبقي لحظة مركوزاً أمام "جيزال" "كالعود الحائر" ثم انصرف "حاملاً مخطوطة" ... وأغلق المؤلف الباب كما يغلق الإنسان الكتاب" لنفاجأ بأن الرواية قد انتهت بلحظة إغلاق الباب - الكتاب.

انظر : عمر شبانة : طبعة مصرية لرواية مالك حداد "سأهبك غزالة". مارس١٩٩٩ .

في هذه الرواية يروي مالك حداد قصة حب بين سائق شاحنة وفتاة شابة، تعيش في الواحة التي يتوقف فيها السائق ليستريح، وهو في رحلته عبر الصحراء. فالكاتب في رأي حداد لا يلتزم إلا بشخصيات رواياته. لكنه لم يهمل ثورة التحرير والمجاهدين، الذين كانوا يقاتلون من أجل أن يحققوا السعادة والخير لشعبهم، أو من أجل الغزلان.

أراد الكاتب بهذا العمل الروائي أن يتقل لنا صورة واقعية عن مشاعره و انطباعات عدد من أفراد الشعب الجزائري الذين عانوا من الوضع نفسه و من التجربة ذاتها أثناء فترة حرب التحرير،

فالرواية تتحدث عن كاتب ومثقف جزائري يعيش في باريس حياة بائسة، ويواجه صعوبة في الإحساس بهويته الوطنية، خاصة إذا علمنا بمعاناته المسبقة جراء عدم امتلاكه لهوية شخصية كفرد، فهو لا يملك اسما كباقي الشخصيات، وإنما يعرف فقط بكونه المؤلف ،إلا أنه ثار على ما هو عليه من ركود بتأليفه لمخطوط أودعه بشكل غير رسمي في إحدى مكاتب دور النشر؛ لأنه لم يجد ا أحد هناك، فقام بوضعه على المكتب دون أن يدون اسمه عليه، أما العنوان فقد قرر في آخر لحظة قبل انصرافه أن يعنونه بـ" سأهبك غزالة "استجابة لمتطلبات النشر، ولا شك أن المؤلف يحمل اسما عربيا، ولو أنه نسب المخطوط إليه لكانت فرصته في النشر محدودة بسبب التمييز العنصري، أو ربما لأن إحساسه باسمه العربي كجزء من هويته لم يرق لديه إلى مستوى البوح، والاعتراف.

والمخطوط عبارة عن رواية عاش تفاصيلها شاب يدعى موالي يطارد الغزلان الحية في الصحراء، لكي يهب واحدة ليميناتا المرأة التي طلبت منه غزالة بتلك المواصفات؛ لأن الغزالة حسب اعتقادها لا تكون كذلك إلا إذا كانت حية، لقد كانت الغزالة مهرا لها، ولن يكون هناك مهر يليق بها سوى الحرية المتجلية في غزالة حرة، وطليقة .أما اليوتنان ماسون فكان كثير التردد على والد ياميناتا مصحوبا بكاتب الكومندان المسمى كاباش، وهكذا عمل المؤلف على توليد المزيد من الدلالات على مستوى النص المخطوط بوضع ياميناتا موضع طمع من الخونة المقربين من أحد الضباط الفرنسيين.

-مالك حّداد، سأهبك غزالة، تعريب صالح القرمدي، الدار التونسية للنشر و التوزيع ١٩٩٨ ،ص٦.

دراسة البنية الفنية للرواية:

العنوان : العنوان أول عتبة نصية يصطدم بها القارئ لكونه يمثل معرفة لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية الرواية فهو إن صحت المشابهة- بمثابة الرأس للجسد، والأساس الذي تبنى عليه،غير أنه إما أن

يكون طويلا فيساعد على توقع المضمون الذي يتلوه، وإما أن يكون قصيرا. وحينئذ فإنه لابد من قرائن فوق لغوية توحي بما يتبعه.

محمد مفتاح: دينامية النص،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١ ، ١٩٨٧، ص:٦٠.

فهو عمل روائي مواز لمتن الرواية المكتوبة و هو نص مشفر يحتاج إلى جملة من الآليات و الأدوات التحليلية التي من شأنها تبيان مكونات النص الروائي و إجلاء معانيه كالعلامة النصية مثلا، كما أن تعدد قراءات الرواية مع عدم إغفال نص العتبة الموازي و إعادة قراءة تلك القراءات هي من مستلزمات فقه الرواية ونقدها و إدراك معانيها.

أي أن كل عنوان يلصقه الكاتب على ظهر روايته أو يعلقه كالثريا في رأس الصفحة أو يموقعه في وسط كل فصل أو قسم "لاشك أن المؤلف أفرغ فيه جهدا وتطلب منه اختياره؛ لأن صياغة عنوان أي عمل إبداعي جزء من الكتابة الفنية نظرا لما للعنوان من أهمية على المستوى الإعلامي (الإشهار) أولا، على المستوى الفكري ثانيا، وعلى المستوى الجمالي ثالثا، ونظرا إلى كل هذه الاعتبارات فإن العنوان ذو أهمية خاصة بالنسبة للمؤلف والمتلقي على السواء؛ لأنه جماع النص وملخصه.

مجيد طوبيا: تغريبة بني حتحوت، بيروت، دار الشروق، ط١، ١٩٨٨

وقد جاء عنوان رواية مالك حداد تركيبا فعليا أي جملة ابتدأت بفعل والفعل عادة يدل على الحركة والتجدد والاستمرار ، فعل + فاعل مستتر (يعود على المتكلم)+ مفعول به سأهبك غزالة ، وقد اختار الكاتب لهذا الفعل زمن المستقبل القريب لكون الفعل جاء مسبوقا بحرف من أحرف التسويف (السين) ، وهو من الحروف المهموسة . و هو عادة للتنفيس، وتستعمل للحزين، الذي يتيه في دوامة الخيال و الوساوس. حيث تعني الحروف المهموسة السيولة و السهولة و اليسر. كما يعطي إيقاعا و صفيرا في النطق...؛ إذ كثيرا ما يحيل إلى عالم الجن و ما تشترك فيه عوالم .

وليد عثماني : شعرية الفضاء وغواية الصحراء في الرواية الجزائرية ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، العدد ١٠ ، ٢٠١٤ ، ص٢٤١.

لكن وجود هذا الحرف في هذا الموضع بالذات يدل على قرب وقوع الفعل لأن الأكثر في السين الوعد والمسلم ملزم بالوفاء بالعهد.

وقد اسستر الفاعل المقدر بـ (أنا) وجوبا ، لأنه أسند إلى فعل مضارع ، والنحاة أشاروا إلى أن الفاعل يسستر إذا كان فاعلا لفعل مضارع مسند إلى متكلم.

وغياب الفاعل عوض بحضور المفعول به ، وكأن المفعول به هو المقصود من هذا التركيب الفعلي.

فالفعل المضارع : أهب (فعل ينصب مفعولين) مرتبط بمعنى الهبة ، والهبة يقصد بها الواهب وجه الموهوب له.

وكاف المخاطب في قول الكاتب : أهبك في موضع مفعول به أول فهي المعنية بالهبة.

غزالة : مفعول به ثاني وهي موضوع الهبة ، واختيار هذا الحيوان لم يكن اعتباطيا بل هو يحيل إلى دلالات مختلفة من بينها أن الغزال" هو ذلك الحيوان البري الذي يعيش في الصحراء ، ويتميز بالرشاقة والخفة والسرعة في الجري ، بحيث يصعب الإمساك به ، إلا عن طريق الصيد ، وبالتالي لا يقبض عليه إلا ميتا ، وهو لا يحب القبض ، ويعيش في حرية داخل فضائه الرحب ، المترامي الأطراف (الصحراء ،) ويوحي بدلالات عدة : الشرود ، الإفلات ، الحرية الانطلاق ، الهروب من القيد ، الطموح، . . الخ.

فكذلك الكاتب يتطلع إلى الحرية والعيش طليقا.

تجليات المكان في رواية سأهبك غزالة:

لأول وهلة يدرك القارئ أن الفضاء الذي يستدعيه الكاتب في هذه الرواية هو الصحراء ، بغض النظر عن زمن الكتابة ومكانها الفعليين (الرواية كتبت في باريس) لارتباطه بمعطى من معطيات هذا المكان الفسيح والمخيف ، فالغزال موطنه الصحاري والبراري ، يقول الكاتب :" عثر الدرب ثانية عن طريق النجوم ، وحدها النجوم تملك الصبر المطلوب

لاشيء يحتمل الصحراء . تهجرها الطيور .تتجنبها الغزلان ، وتبقى قشور بيض النعام المكسورة أطلال هروب فضيع حدث في غابر الزمان . ماتت الجمال. تتشابع أنواع السراب إلى حد بعث اليأس في النفوس.تذكر بجزر ، جزر على شكل سبخة ، أرخبيل صامت . ومع ذلك فقد عثر الدرب ثانية عن طريق النجوم ". الرواية ص٢٩.

يؤدي المكان دورا مهما في الرواية ، فهو ليس عنصرا زائدا ، بل يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة ، إنه يكون بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله ، وانشغال الكاتب بالصحراء في هذه الرواية يؤكد أنها محور الأحداث وبسببها تقع كل التحولات.فإذا أراد الكاتب أن يعيش حرا عليه أن يقبل الحياة في الجحيم ، والصحراء جحيم جميل لأنها جحيم الحرية والانطلاق والتضحية ، والصحراء فردوس مفقود، وواحة مفقودة، مفقودة لكنها موجودة، لا يعرف أحد مكانها ولكن لا أحد ينفي وجودها، هي بلا شك واحة في أعماق الصحراء وبواطنها·لا يعثر عليها إلا التائهون الذين فقدوا الأمل في النجاة .

انظر حسن المودن : الرواية والتحليل النصي ، ص٦٧.

يحاول الكاتب في هذا الرواية أن يقدم للقارئ أشبه ما يكون بالمفاضلة والموازنة بين حضارتين ، الحضارة الشرقية التي يمثلها التمدن والعصرنة من جهة ومن جهة أخرى الحضارة العربية الأصيلة المرتبطة بالبداوة والصحراء وهي فضاء تجربة مغايرة لتجارب المدينة، فتجربة الحياة في الصحراء لا يمكن أن تكون تجربة إلا إذا بلغت الحدود القصوى ، وشتان بين الفضاءين ، فضاء تطغى عله النزعة الواقعية ولا يؤمن إلا بما هو معيش ومادي وملموس ، والثاني أي (الصحراء) فضاء أسطوري روحي يؤمن بالأصل والأساس لمنبع الإنسان وتجذره في الأصالة والتمسك بها .

تظهر صورة الصحراء في الرواية كصورة الصحراء المعروفة، فهي تبدو فضاء رمليا واسعا، و مبهرا و لكن ما يميزها في هذا النص، هو أنها لصحراء ليست عادية بل تنبئ بدلالات عدّ ة، بالإضافة إلى كونها فضاء للحب و تبادل المشاعر بين الحبيبان"يمينة "و" مولاي " كان مولاي عاشقا،و كان عاشقا ليمينة و كانت" يمينة "عاشقة ، كانت عاشقة لمولاي و كانا يتقابلان هناك في) الصحراء عندما يكون لليل باع و مهارة.).

قائمة المراجع

الغنيمي، سعيد. (٢٠٠٠). ملحمة الحدود القصوى: المتخيل الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني. (ط. ١). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

القيسي، نوري هودي. (د.ت). ديوان مالك بن الريب. مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية.

المودن، حسن. (٢٠٠٩). الرواية والتحليل النصي. (ط. ١). بيروت: دار الأمان.

المفدي، زكريا. (١٩٨٣). ديوان اللهب المقدس. الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.

المفتاح، محمد. (١٩٨٧). دينامية النص. (ط. ١). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

المنسي، حبيب. (٢٠٠١). فلسفة المكان في الشعر العربي: قراءة جمالية موضوعاتية. دمشق: اتحاد الكتّاب العرب.

الهاشمي، حافظ أحمد. (٢٠٠٧). بنية الخطاب في الرواية النسوية الفلسطينية (١٩٥٠–٢٠٠٠). رام الله: منشورات مركز أوغاريت الثقافي.

تانتاوي، الجوهري. (٢٠١٥). الجواهر في تفسير القرآن الكريم. (ط. ١). القاهرة: دار الكتب العلمية.

تالال، حرب. (١٩٩٣). ديوان الشنفرى. (ط. ٢). بيروت: دار صادر.

توبيا، مجيد. (١٩٨٨). منفى بني حتحوت. (ط. ١). بيروت: دار الشروق.

حداد، مالك. (١٩٨٦). سأمنحك غزالة. تونس: الدار التونسية للنشر والتوزيع.

رمضاني، إبراهيم. (٢٠٠٢). المدينة في الشعر العربي الجزائري. الجزائر: منشورات موفم.

صالح، صلاح. (١٩٩٦). الرواية العربية والصحراء. (ط. ١). دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

عثماني، وليد. (٢٠١٤). شعرية المكان وإغواء الصحراء في الرواية الجزائرية. مجلة المخبر: أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، (١٠).

قعدي، عائشة. (٢٠١٦). صورة الصحراء في السرد الجزائري المعاصر (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر.

رحال، أمينة، وعقال، ليليا. (٢٠١٦). صورة الصحراء في الرواية الجزائرية: رواية «ذلك الحب» للحبيب السائح أنموذجًا (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر.

بلعلي، آمنة. (٢٠١٧). تخييل الصحراء وإعادة تشكيل المركز في الرواية الجزائرية. موقع إلكتروني ثقافي.

حميد، عبد القادر. (٢٠١٨). حضور الصحراء في الرواية الجزائرية: الاحتفاء بالإنسان على حبات الرمل. موقع إلكتروني ثقافي.